تحليل الظواهر الصوتية
في
قراءة الحسن البصري

د. سمير شريف ستيتية*

ملخص:

يتكون هذا البحث من فصلين، يدرس أحدهما حياة الحسن البصري، ودرايته وقراءته، وهي إحدى القراءات الأربع عشرة، ويدرس الآخر الظواهر الصوتية المختلفة في هذه القراءة، وهي: الإتباع الصوتى، وأهم مظاهره: إتباع حركة الإعراب لحركة البناء، وصلة ميم الجمع، وكسر نون (من)، والإدغام وفكّه والحذف والزيادة والمغايرة الصوتية.

وقد كان البحث حريصا على رد الظواهر الصوتية المختلفة في هذه القراءة إلى أصولها المسلم بها في فصيح اللسان العربي. ثم إن البحث قد توجه إلى مناقشة هذه الظواهر الصوتية في ضوء المعطيات العلمية الحديثة في علم الأصوات، وهي معطيات جديدة. وقد استخدم الباحث الأجهزة الصوتية الحديثة المتطورة، لمعرفة كنه بعض الظواهر الصوتية، وخرج بنتائج جديدة.

---

* قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، إربد.

الفصل الأول

الحسن البصري ـ حياته ودرايته، وقراءته

المطلب الأول: الحسن البصري: حياته ودرايته

هو شيخ الإسلام أبو سعد الحسن بن أبي الحسن بن يسار، إمام زمانه، وشيخ وقته علما وعملا. كان من سادات التابعين، وكبرائهم المقدمين. أبوه مولى زيد بن ثابت، وأمه مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. ولد في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. حفظ كتاب الله عز وجل وهو صغير، وشاهد عددا كبيرا من الصحابة، وروى عنهم الحديث. وكان من بين من روى عنهم: عبدالله ابن عمر، وعبدالله بن عباس، والمغيرة بن شعبة، وعبدالرحمن بن سمرة، وسمرة بن جندب، وغيرهم(١).

كان الحسن أحد الشجعان الموصوفين بالإقدام. وقد انصرف إلى الجهاد، حتى كان فيه من أعلامه، والى العلم حتى أصبح فيه من أبرز رجاله، والى العمل وكثرة العبادة والزهد، حتى أصبح مثلا يحتذى. كان ـ رحمه الله ـ فصيحا لا يجارى في فصاحة، ولا يبارى في بيان. قال له أحدهم: أنا أفصح منك وأزهد، فقال له: أما أفصح فلا. وقد شهد له بالفصاحة رجالها وساداتها، فقال الشافعي: «لو أشاء أقول: إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت، لفصاحته»(٢). وقال أبوعمرو بن العلاء:«ما رأيت أفصح من الحسن البصري»(٣)وكان الى ذلك كله، فطنا ذكيا، حاضر البديهة، ذا موعظة مؤثرة، وكان جميلا وسيم المحيا، بهي الطلعة. قال فيه الحافظ الذهبي: حافظ، علامة، من بحور العلم. فقيه

---

١ ـ تذكرة الحفاظ: ١/ ٧١

٢ ـ غاية النهاية في طبقات القراء: ١/ ٢٣٥.

٣ ـ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ٢/ ٧٠.

النفس، كبير الشأن عديم النظير، مليح التذكير، بليغ الموعظة، رأس في أنواع الخير.(١)

توفي الحسن في البصرة سنة عشر ومائة، وكانت جنازته مشهودة، إذ لم يبق في البصرة أحد الا اشترك في تشييع جنازته، فاشتغل الناس بدفنه، فلم تقم صلاة العصر بالجامع، لأن الناس جميعا تبعوا الجنازة، ولم يقع ذلك من قبل(٢).

المطلب الثاني: قراءة الحسن البصري

يرى جمهور العلماء أن القراءة المقبولة هي التي تتوافر فيها ثلاثة الشروط الآتية:

١ ـ موافقة القراءة للعربية ولو بوجه.

٢ ـ موافقتها لرسم أحد المصاحف العثمانية.

٣ ـ ثبوتها بالتواتر، أي بنقل جماعة من الموثقين، عن جماعة من الموثقين ممن يؤمن تواطؤهم على الكذب، أو توافقهم على الخطأ. وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الشرط الثالث أهم هذه الشروط جميعا(٣)، لأنه يعني أن القراءة المتواترة لا بد أن تكون موافقة للعربية، وموافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية. فالتواتر أساس هذه الشروط، لأنه يتضمنها ويحتويها.

والتواتر ـ فيما يرى العلماء ـ ليس متحققا إلا في القراءات العشر، وهي: قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو بن العلاء، وحمزة، والكسائي، وعاصم، وابن عامر، وأبي جعفر، ويعقوب، وخلف البزار. وقد عدت القراءات التي بعد العشر غير متواترة، ولذلك ردوها، فمنعوا القراءة بها في الصلاة وخارجها، لكنهم أجازوا تعلمها وتعليمها، وتدوينها في الكتب، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى.(٤)

---

١ ـ تذكرة الحفاظ: ١/٧٢.

٢ ـ وفيات الأعيان، ٢/٧٢.

٣ ـ القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب: ص٧ .

٤ ـ المرجع السابق، ص ١٠.

وقراءة الحسن من القراءات الأربع التي بعد العشر. وهي لذلك من القراءات غير المتواترة. وإذا كان العلماء قد ذهبوا الى وصف كل قراءة غير متواترة بالشذوذ، فإننا هنا نفرق بين الشذوذ وعدم التواتر، وهو تفريق أخذناه مما ذهب إليه مكي بن أبي طالب في هذه المسألة، فهو يرى أن الشاذ هو ما خالف الرسم أو العربية، ولو كان منقولا عن الثقات، أو ما وافق الرسم والعربية ونقله غير الثقة.(١)

وقراءة الحسن البصري قراءة طريفة، لما فيها من الظواهر الصوتية، والصرفية، والنحوية التي تستحق أن تدرس في بحوث تجلو طبيعة كل ظاهرة في هذه القراءة، سواء أكانت صرفية أم نحوية، أم غير ذلك. لقد تفرد الحسن باختيار وجوه من اللسان العربي، وكلها وجوه فصيحة ومقبولة.

لقد جاء اختيار الحسن لحروفه، مما قرأ على شيوخه، فقد قرأ على حطان ابن عبدالله الرقاشي عن أبي موسي الأشعري، وعلى أبي العالية عن أبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعمر بن الخطاب(٢) رضي الله عنهم جميعا. اختار الحسن مما قرأ على شيوخه، فكانت اختياراته هي هذه القراءة التي تنسب إليه.

ـ الفصل الثاني ـ

الظواهر الصوتية في قراءة الحسن البصري

تكثر الظواهر الصوتية الفريدة في قراءة الحسن بصورة تدعو الى التأمل، بل إنني أزعم أنها تدعو الى إعادة النظر في كثير من القواعد التي قعدها علماء العربية، وفي كثير من الأحكام التي أجروها على بعض القراءات القرآنية، وأرسلوا أعنة أحكامهم عليها. من الظواهر الصوتية التي سيتناولها هذا البحث: الإتباع الصوتى والإدغام وفكه والحذف والزيادة والمغايرة الصوتية، وسندرس هذه الظواهر في ثلاثة مطالب، وفيما يأتى بيان ذلك:

١ ـ المرجع السابق ص ١٠.
٢ ـ غاية النهاية، ج١، ص ٢٣٥

المطلب الأول: الإتباع الصوتي:

الإتباع الصوتى تغيير صوتى يطرأ على كلمة لاحداث تناسب بينها وبين كلمة أخرى، وهو تغيير يطرأ على صوامت الكلمة طروءه على صوائتها. والإتباع الصوتى بهذا المعنى، يتخذ أشكالا وصورا متعددة في العربية، منها أنهم كانوا يستعملون كلمتين معا، ويغلب أن يكون الفرق بين الكلمتين في صوت واحد، لتأكيد معنى الكلمة الاولى. وتسمى هذه الظاهرة في علم النظم الصوتية بالثنائية الصغرى minimal pairsوذلك مثل قولهم: إنه لكثير، بثير، بذير، بجير، قال أبوالطيب اللغوي: وهذا كله إتباع، والبثير من قولهم: ماء بثر: أي كثير، إلا أنه لا يقال: شيء بثير إلا على سبيل الإتباع(١). هذا على وجه إتباع صامت بصامت. وإما إتباع حركة بحركة، فهو في العربية كثير أيضا. وربما كان أبرز شاهد يرد في هذا السياق، الحديث الشريف: «لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه»، فالأصل أن يكون الحديث الشريف على إيقاع: «لودخلوا جحر ضب خربا» باتباع كلمة «خربا» لكلمة «جحر» إتباعا إعرابيا، ولكن الجوار غلب على الإعراب، فكلمة «خرب» أصبحت مجرورة على الإتباع، وهو تأثير صوتى محض، غلب على التاثير الإعرابي.

والاتباع بصورته الثانية ـ أي إتباع حركة لحركة ـ كثير الورود، ذو سيرورة ملحوظة في قراءة الحسن البصري. وفيما يأتى بعض معالم هذه الظاهرة في هذه القراءة:

أولا: إتباع حركة الإعراب لحركة البناء:

في (الحمد لله) ثلاث قراءات اعتدت شاذة، وهذه القراءات هي:

القراءة الأولى: قراءة الحسن البصري، فقد قرأ بكسر الدال (دال الحمد) في فاتحة الكتاب العزيز، وحيث وردت أيضا.(٢) وقد نسبت هذه القراءة إلى بني

---

١ ـ كتاب الاتباع، ص ١٣.

٢ ـ القراءات الشاذة، ص ٢٤ ومختصر في شواذ القرآن، ص ١.

تميم(١) والى بعض بني غطفان(٢). ونقدها السيوطي ـ رحمه الله ـ وهو ينسبها فقال: وتميم تقول: الحمد لله، بكسر الدال، ولا خير فيها:(٣)

القراءة الثانية: بنصب الحمد، وقد نسب القرطبي هذه القراءة الى سفيان ابن عيينة، ورؤبة بن العجاج(٤)، وزاد أبوحيان: هارون العتكي(٥)، قال القرطبي:

ويقال: الحمد لله، بالرفع، مبتدأ وخبر، وسبيل الخبر أن يفيد، فما الفائدة في هذا؟ (أي: القراءة بالنصب) فالجواب أن سيبوية قال: إذا قال الرجل: الحمد لله بالنصب(٦)، ففيه من المعنى مثل ما في قولك: حمدت الله حمدا. الا أن الذي يرفع الحمد يخبر أن الحمد منه ومن جميع الخلق لله، والذي ينصب الخبر يخبر ان الحمد منه وحده لله. وقال غير سيبويه: إنما يتكلم بهذا تعرضا لعفو الله ومغفرته، وتعظيما له وتمجيدا، فهو خلاف معنى الخبر، وفيه معنى السؤال.(٧)

القراءة الثالثة: (الحمدُ لُله) بضم اللام إتباعا لحركة الاعراب الواقعة على (الحمد). وهذا لا شك إتباع صوتى محض. وقد نسبت هذه القراءة إلى بعض بني ربيعة(٨) وبها قرأ إبراهيم بن أبي عبلة(٩). وقد ذهب ابن جني إلى أن إتباع الصوت الثانى الصوت الأول أسهل(١٠). وهو بذلك يشير إلى أن ضم اللام إتباعا لحركة الدال، أسهل من القراءة بكسر الدال إتباعا لحركة اللام، قال ابن جني: «إلا أن (الحمد لله) بضم الحرفين، أسهل من (الحمد لله) بكسرهما

---

١ ـ إعراب القرآن ج ١، ص ١٧٠
٢ ـ القراءات الشاذة، ص ٢٤
٣ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ج ١، ص ٢٢٥.
٤ ـ الجامع لاحكام القرآن ج ١، ص ١٣٥.
٥ ـ تفسير البحر المحيط ج ١، ص ١٨.
٦ ـ الذي في تفسير القرطبي: (اذا قال الرجل: الحمد لله بالرفع) وهو خطأ واضح، والصحيح ما اثبتناه أعلاه، اذ ان سياق الحديث يدل عليه.
٧ ـ الجامع لاحكام القرآن، ج١، ص١٣٥.
٨ ـ إعراب القرآن، ج ١، ص ١٧٠.
٩ ـ البحر المحيط، ج ١، ص ١٨.
١٠ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها:١/ ٣٧ ـ ٣٨.

من موضعين: أحدهما أنه إذا كان إتباعا، فإن أقيس الاتباع أن يكون الثانى تابعا للأول، وذلك أنه جار مجرى السبب والمسبب، وينبغي أن يكون السبب أسبق رتبة من المسبب. والآخر: أن ضمة الدال في (الحمد) إعراب، وكسرة اللام في (لله) بناء، وحرمة الإعراب أقوى من حرمة البناء، فإذا قلت: الحمدِ للِه، جنى البناء الأضعف على الإعراب الأقوى.»(١). وقد ذهب بعضهم الى تقويم المسأله على نحو آخر، فقد ذهب أبو جعفر النحاس الى أن الكسرة مع الكسرة، والضمة مع الضمة أيسر من المخالفة، أي أنهما أيسر من الجمع بين الضمة والكسرة، يقول أبوجعفر النحاس: «فأما اللغة في الكسر، فإن هذه اللفظة تكثر في كلام الناس، والضم ثقيل، ولا سيما إذا كانت بعده كسرة، فأبدلوا من الضمة كسرة، وجعلوهما بمنزلة شيء واحد. والكسرة مع الكسرة أخف، وكذلك الضمة مع الضمة، فلهذا قيل: الحمد لله»(٢)، أي أنه لم يذهب الى ما ذهب اليه ابن جني، من إطلاق القول بكون الضمة مع الضمة أيسر من الكسرة مع الكسرة.

إن مسألة السهولة التي أشار إليها ابن جني مبنية على أحكام المنطق التي أوردها هذا العالم الجليل في غير موردها، وسار بها على غير سننها، فلو كان السبب في إحداث تغيير صوتى، يسبق في النطق المسبب، ولو امتنع على اللاحق أن يكون سببا في تغيير بعض ما يسبقه، لسقطت المماثلة الرجعية من الكلام، فالمماثلة الرجعية يسبق فيها المسبب السبب الذي أحدثه. نعم، السبب يسبق المسبب في الحدوث لا في موضع الحدوث. وهذا هو المعنى الذي أردناه من قولنا إن ابن جني وضع أحكام المنطق في غير موردها. وأما أن حرمة الاعراب أقوى من حرمة البناء، فذلك لا يقوم دليلا على أن أبناء اللغة لم يجعلوا المجاورة مؤثرة حتى في الاعراب، وتغيير وجهته، والحديث الشريف «لو دخلوا جحر ضب خرب» كاف لاثبات ما نقوله.

---

١ ـ المرجع السابق، ص ٣٧ ـ ٣٨.

٢ ـ المرجع السابق، جـ ١، ص ١٧٠.

فإذا تجاوزنا هذا كله، تبين لنا أن ابن جني ـ رحمه الله ـ قد أخطأ من الناحية الصوتية، إذ جعل ضم اللام في (الحمدُ لُله) أسهل من كسر الدال في (الحمدِ لِله)، ذلك أن الدال وكسرتها، واللام وكسرتها، كلها أصوات أمامية، أي أن مواضع نطقها، أو مكان تشكلها، في الجزء الأمامي من الحجرة الفموية. وتسمى الأصوات الأمامية أصواتا منتشرة compact لأن حجرة رنينها في الجزء الخلفي من الحجرة الفموية.(١). وأما الضمة فهي صوت خلفي، لأن اللسان يرتد الى الخلف عند نطقها، وتكون حجرة رنينها في الجزء الأمامي من الحجرة الفموية. ويسمى الصوت الذي هذا شأنه صوتا متضاما diffuse(٢) فإذا علم هذا كله، تبين لنا أن التناسق الصوتى سيتم بدرجة أعلى، ويكون اسهل عندما نكسر الدال إتباعا لكسرة اللام. أما عندما تكون دال الحمد مضمومة، واللام التي بعدها مضمومة، فسيكون نسق الاصوات على النحو الاتى:

الدال (أمامي) + الضمة (خلفية) + اللام (أمامية) + الضمة (خلفية)

وإذن، فإن قراءة الحسن البصري أسهل من القراءة الثالثة، لا كما ادعى ابن جني، ومع ذلك، فإن سهولة قراءة ما لا يعني أفضليتها، وعدم سهولة قراءة أخرى. لا يعني عدم أفضليتها.

ثانيا: صلة ميم الجمع إتباعا:

يختلف القراء في صلة ميم الجمع، فابن كثير يصلها بواو بإطلاق، فيقرأ: (عليهمو، منهمو، لهمو ...)، وورش يصلها بواو إذا كانت متبوعة بهمزة فقط، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا﴾(٣)، فقد قرأها ورش: «وإذا قيل لهمو آمنوا». وأما الحسن فعنده تفصيل هذا بيانه:

---

١ ـ انظر : Roman Jakobson; C. Fant and M. Halle. Preliminaries to Speech Analysis; p.p. 27 - 28.

٢ ـ المرجع السابق، ص ٢٧ ـ ٢٨.

٣ ـ البقرة : ١٢

١ ـ إذا كانت ميم الجمع مسبوقة بكسر، فإنه يصلها بياء، ولذلك فقد قرأ(١) «صراط الذين أنعمت عليهمي غير المغضوب عليهمي» وقرأ: «على قلوبهمي وعلى سمعهمي، وعلي أبصارهمي»(٢). وهذا يمكن توضيحه بالمعادلة(١):

المعادلة(١):

[+ كسرة] + [سم جمع] + ∅ ⟵ [+ كسرة] + [سم جمع] + [+ صائت، + أمامي، + مغلق، + طويل]

∅ يشير إلى السكون

٢ ـ إذا كانت ميم الجمع مسبوقة بضم، فإنه يصلها بواو مد(٣)، هكذا:

أنفسهم ⟵ أنفسهُمُو

وهذا يمكن توضيحه بالمعادلة(٢):

المعادلة(٢):

[+ ضمة] + [سم جمع] + ∅ ⟵ [+ ضمة] + [سم جمع] + [+ صائت، + خلفي، + مغلق، + طويل]

ثالثا: كسر نون (مِـن) إتباعا:

قرأ الحسن بكسر نون (من) إتباعا لكسرة الميم، وذلك إذا كانت متبوعة بساكن، وذلك مثل قوله تعالى: «بريء من المشركين»(٤)، و«عاهدتم من المشركين»(٥)، فقد قرأهما الحسن: «برىء مِن المشركين»، و«عاهدتم مِن المشركين»(٦).

---

١ ـ القراءات الشاذة، ص ٢٥.
٢ ـ البقرة : ٧.
٣ ـ القراءات الشاذة، ص ٢٥.
٤ ـ التوبة : ١.
٥ ـ التوبة : ١ .
٦ ـ القراءات الشاذة، ص ٥١.

إن الكسرة ليست مقحمة هنا إقحاما، ولا هي مما يصح أن يوصف بأنه كسر لالتقاء الساكنين. فالكسرة هذه أصلها همزة وصل الكلمة التي بعدها، اي أن هذه الكسرة محولة عن فتحة، والفتحة هذه هي همزة الوصل. وعلى ذلك، فهمزة الوصل حركة خالصة، من وجهة نظر علم الأصوات، وسنوضح ذلك في موطنه من هذا البحث إن شاء الله.

وحتى تتبين لنا حقيقة كسرة نون (من) بصورة أوضح، لا بد من النظر في التوزيع المقطعي ل (من) و(ال) التعريف التي ترد بعدها في حالي الفصل والوصل، هكذا:

في حال الفصل: م ـِ ن / ـَ ل

في حال الوصل: م ـِ / ن ـَ ل

فالتغيير الذي طرأ على حال الوصل يهدف إلى تخفيف الجهد العضلي، واختصار الزمن. هذا قبل كسر النون، فلما كسرت النون في قراءة الحسن، أصبح مركز المقطع الأول كسرة، ومركز المقطع الثانى كسرة كذلك: م ـِ / ن ـِ ل، فتحصل من ذلك نسق إيقاعي، هو في حقيقته سر الباعث على الاخذ به، عند من استعمله وأخذ به من العرب.

وعلى كل حال، فإن كسر نون (من) عربي فصيح. قال سيبويه: «وزعموا أن ناسا من العرب يقولون: «من الله» فيكسرونه، ويجرونه على القياس»(١)، وقال: «وقد اختلف العرب في (من) إذا كان بعدها ألف وصل غير ألف اللام، فكسره قوم على القياس، وهي أكثر في كلامهم، وهي الجيدة. ولم يكسروا ألف اللام، لأن الألف واللام كثيرة في الكلام تدخل كل اسم،ففتحوا استخفافا، فصار (منِ الله) بمنزلة الشاذ. وذلك قولك: منِ ابنك، ومن امرىء. وقد فتح قوم فصحاء فقالوا: منَ ابنك.فأجروها مجرى: منَ المسلمين.(٢) وهنا لا بد أن نلحظ ما يأتى:

---

١ ـ سيبويه. الكتاب، ج ٤، ص ١٥٤.

٢ ـ المرجع السابق، ص ١٥٤ ـ ١٥٥.

١ ـ يدل كلام سيبويه على أن كسر نون (من) من الفصيح الشائع، إذا لم يكن بعدها (ال) التعريف، ووصف هذا الاستعمال بأنه الأكثر في كلامهم، وأنه جيد، ومثل لذلك في آخر النص بقوله: وذلك قولك: من ابنك، ومن امرىء.

٢ ـ وهذا يدل على أن الاتباع في ذاته مقبول في الذوق العربي. غير أن وصف سيبويه كسر النون بالشذوذ، إذا كانت متبوعة ب (ال) لا يعني، ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يعني، أن هذا الشذوذ تأباه طبيعة العربية، فهو لا يعني بالشذوذ هنا الا قلة الاستعمال، في مقابل كثرة استعمالها بالكسر، عندما تكون متبوعة بهمزة وصل غير همزة (ال). والدليل على ذلك قول سيبويه: «لأن الألف واللام كثيرة في الكلام، تدخل كل اسم، ففتحوا استخفافا، فصار (منِ الله) بمنزلة الشاذ.»

٣ ـ ومع ذلك، ينبغي أن نتنبه إلى أن كثرة الاستعمال ليست هي السبب الذي فتحت من أجله نون (من)، إذا كانت متبوعة ب (ال) التعريف المكونة من همزة وصل + لا م. إن همزة الوصل في (المشركين، والبيت، والسماء، والموت، والحياة .....وهلم جرا) ليست في حقيقتها الصوتية الا فتحة. فإذا فتح العربي نون (من) وهو ينطق هذا التركيب: (من البيت) فلأن الأصل أن همزة الوصل باقية على أصلها الصوتي وهو الفتحة. وهي في الاصل ليست فتحة للنون، وما صارت فتحة للنون الا بالوصل الذي غير البنية المقطعية للكلام، كما تغير موضع النبر أيضا.

٤ ـ ذهب السيرافي إلى أنه «إنما فتح (منَ الله) وخرج عن قياس نظيره، لأنه كثر في كلامهم والميم مكسورة، فكرهوا توالي كسرتين مع الكثرة، فعدلوا إلى أخف الحركات، وكسروا ما لم يكثر مما هو على صورته، كقولك: إنِ الله مكنني فعلت.»(١):

---

١ ـ المرجع السابق، ج ٤، ص ١٥٤، الحاشية (١).

وهذا الذي ذهب اليه السيرافي يحتاج الى شيء من التأمل، ذلك أن العرب جعلت نون (إن) الشرطية مكسورة، إذا كان بعدها مباشرة لفظ الجلالة. وهذا يعني أن الذوق العربي لا يأبي ذلك ولا يرده، وبذلك يكون كسر نون (من) عربيا فصيحا، إذ لا فرق من الناحية الصوتية، بين النون في (من)، والنون في (إن). وإذن، تثبت لنا صحة ما قلناه من قبل، وهو أن وصف سيبويه لهذا بالشذوذ لا يعني - من وجهة نظره - الا القلة في مقابل الكثرة، ولا يعني شذوذا تأباه الفصاحة العربية، أو يتأبى عليه اللسان العربي المبين وكتاب الله عزت أسماؤه، وجلت صفاته.

لقد ذهب بعض العلماء والباحثين الى أن همزة الوصل إذا ابتدىء بها الكلام، اصبحت في النطق همزة قطع، يقول أحد هؤلاء العلماء: «فإنها إذا بدىءبها في الكلام، مثلت دور همزة القطع، فظهرت عليها الحركات الثلاث. هذا إذا لم نقل إنا نستعير همزة القطع للتوصل بها الى النطق، بدلا من همزة الوصل التي لا يمكن أن تكون لها في الذهن صورة حرف ذي حركة... إن أداة التعريف التي تدخل على الالفاظ هي من ذوات همزة الوصل الا عند بدء الكلام بها كقولك: (العلم خير من الجهل).»(١) وهنا لا بد أن نبين ما يأتي:

١ - أما أن همزة الوصل تصبح همزة قطع عند البدء بها فليس ضربة لازب، إذ يمكن ان تحقق فتصبح همزة قطع، ويمكن أن تبقى على حالها، حركة لا صامتا. وقد قمت بتحليل همزة الوصل عندما يبدأ بها الكلام، على أحدث الاجهزة الصوتية وأدقها. لقد تم تحليل صورتين مختلفتين لهمزة الوصل التي يبتدىء بها الكلام، إحداهما بالتحقيق، والأخرى بإبقائها على حالها مسهلة. وقد اختير لهذا الغرض مجموعة من الأسماء والأفعال التي تبتدىء بهمزة وصل، منها: اسم، ابن، اسمع، اكتب. ونظرا لأن هذا البحث لا يتسع لمناقشة نتائج تحليل هذه الكلمات جميعا، فقد اخترت لهذا البحث اسما وفعلا. أما الاسم فهو كلمة (ابن)، واما الفعل فهو (اسمع).

---

١ - قواعد التجويد والإلقاء الصوتي ص٥٥.

٢ ـ حتى تتبين الفروق بين همزة الوصل في بداية الكلمة، وصورتها وهي محققة، أي عند نطقها همزة قطع في البداية، لا بد من النظر في الرسوم الطيفية لكل حالة على حدة، ثم النظر في صيغة الموجة الصوتية للوصل والقطع. وهذا هو الذي سنبينه فيما يأتي

أولا: همزة (ابن) إذا حققت

١ ـ الرسم الطيفي: إذا نظرنا في الرسم الطيفي ذي الرقم(١)، وهو الرسم الذي يمثل نطق (ابن) بهمزة قطع محققة، اتضحت لنا النتيجتان الآتيتان

(أ) أن المنطقة اليسرى من الرسم تمثل انغلاق الوترين الصوتيين عند نطق (ابن) بهمزة قطع محققة. وحد هذه المنطقة من الجهة اليمنى الخط العمودي المتقطع. فمنطقة الفراغ هذه تمثل التقاء الوترين الصوتيين، وانحباس الهواء خلفهما، وهذه هي الهيئة التي يتم بها إنتاج همزة القطع(١).

الشكل (١)

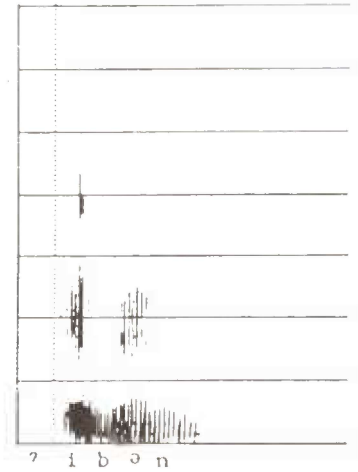

(ب) إذا قابلنا بين هذا الرسم، والرسم ذي الرقم (٣) تبين لنا أن المقطع الأول منبور في الرسم ذي الرقم(١)، وأن الأمر على خلاف ذلك في الرسم ذي الرقم(٣)، إذ المقطع الأول فيه غير منبور، والمنبور هو المقطع الثاني. وإنما نعرف ذلك، من مقدار الدكنة في المقطع المنبور. وهذه الدكنة تمثل طاقة الهواء في

---

١ ـ علم اللغة العام ـ الأصوات ص ٩٦.

الأصوات، كما تمثل ديناميكيته. وهذا يظهر لنا بوضوح عندما ننطق كلمة (ابن) بهمزة قطع، فيكون المقطع الأول منبورا. أما إذا نطقناها بهمزة وصل كان المقطع الثاني هو المنبور.

٢ ـ الموجة الصوتية: يوضح الرسم ذو الرقم(٢) الصيغة الموجية لأصوات كلمة (ابن) عندما تنطق بهمزة القطع. إن الخط الأفقي المستقيم على أقصى اليسار، يمثل الصيغة الموجية لهمزة القطع. وهذا الخط الافقي المستقيم يعني أن موجة الهمزة، عندما تكون همزة قطع، تكون موجة بسيطة منتظمة.

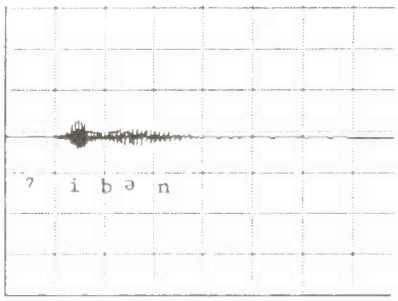

الشكل (٢)

ثانيا: همزة (ابن) بالوصل:

١ ـ الرسم الطيفي: إذا نظرنا في الرسم الطيفي ذي الرقم(٣)، وهو الذي يمثل نطق (ابن) بالوصل، تبين لنا أن المنطقة اليسرى من الرسم هي التي تمثل نطق همزة الوصل. وقد حدد الراسم الطيفي هذه المنطقة من الجهة اليمنى بخط عمودي متقطع. والدكنة التي في هذه المنطقة تبين وجود هواء يخترق الوترين الصوتيين، اي انهما لا يلتقيان عند نطق همزة الوصل هذه.

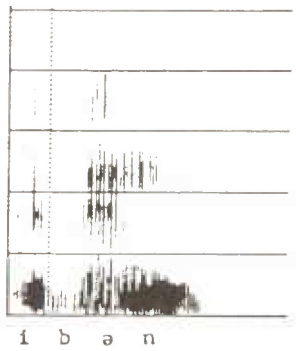

الشكل (٣)

وإذا قارنا بين الرسمين(١) و(٣) تبين لنا ان همزة الوصل لا تكون همزة قطع في البداية بالضرورة، الا إذا حققت بإغلاق الوترين الصوتيين اغلاقا تاما. وإذا لم يحدث هذا، فهمزة الوصل حركة لا صامت.

٢ ـ الموجة الصوتية يوضح لنا الرسم ذو الرقم(٤) الصيغة الموجية لكل صوت من أصوات كلمة (ابن) عندما تنطق بالوصل. ومن الواضح البين في هذا الرسم. أن موجة همزة الوصل موجة بسيطة في بدايتها، ولكنها مركبة غير منتظمة بعد انقضاء الثلث الأول من هذه الموجة

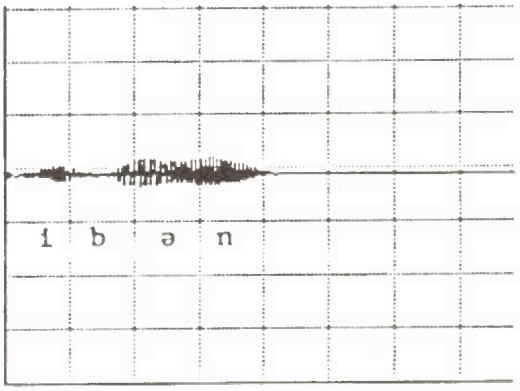

الشكل (٤)

ثالثا: همزة (اسمع) إذا نطقت محققة:

١ ـ الرسم الطيفي:

يمثل الرسم ذو الرقم(٥) طبيعة الطاقة النطقية لأصوات الفعل (اسمع). عندما ينطق بقطع الهمزة وتحقيقها، وهو خلاف الأصل طبعا. الظاهر من هذا الرسم أن العمود الأيسر ـ وهو الذي يمثل منطقة همزة القطع من الرسم ـ قد خلا تماما من أي أثر للدكنة. وهذا يدل على التقاء الوترين الصوتيين التقاء تاما عند نطق الهمزة، فهي إذن همزة قطع، لا خلاف على ذلك.

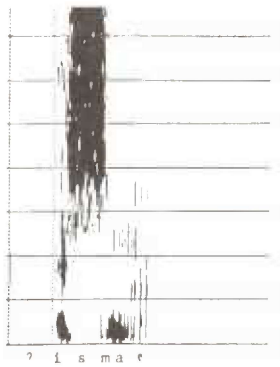

الشكل (٥)

٢ ـ الموجة الصوتية: الرسم ذو الرقم (٦) يمثل موجة كل صوت من أصوات الفعل (اسمع) عندما ينطق بقطع الهمزة وتحقيقها. الموجة الخاصة بهمزة القطع ممثلة في هذا الرسم بخط أفقي مستقيم. وهذا يعني أنها موجة بسيطة منتظمة.

الشكل (٦)

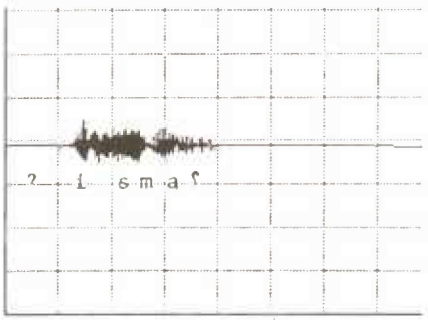

رابعا: همزة (اسمع) بالوصل:

١ ـ الراسم الطيفي: الرسم ذو الرقم(٧) يمثل أصوات فعل الأمر (اسمع) لدى نطقه بهمزة وصل في بدايته. من الدكنة التي في العمود الأيسر يظهر أن هذه الهمزة هي همزة وصل لا قطع. أي أنها حركة وليست صامتا.

الشكل (٧)

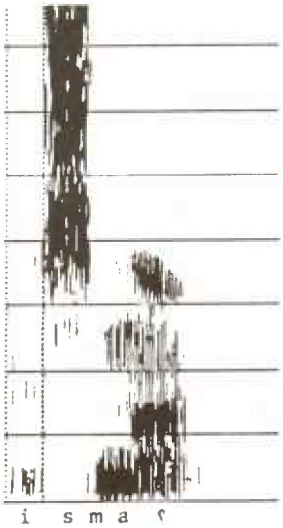

٢ ـ صيغة الموجة: الرسم ذو الرقم (٨) يمثل صيغة موجة كل صوت من أصوات فعل الامر (اسمع) ومن الواضح فيه أن موجة همزة الوصل في (اسمع)، موجة مركبة غير منتظمة، وذلك على خلاف صيغة الموجة الخاصة بهمزة هذا الفعل إذا حققت.

الشكل (٨)

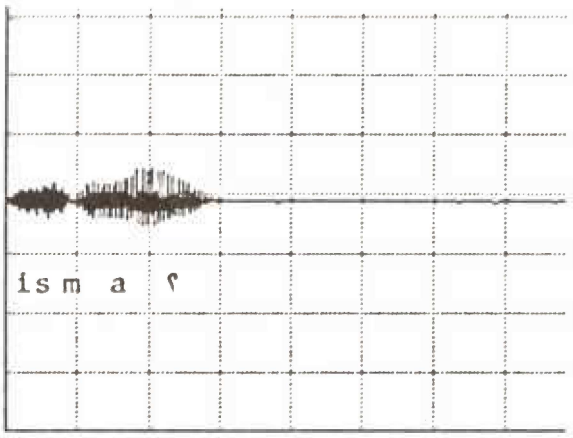

المطلب الثاني: الإدغام وفكه:

الإدغام من الوسائل التي تلجأ إليها العربية، إما اقتصادا في الجهد، وإما لإحداث نسق صوتي، وإما لتغيير البنى المقطعية للكلمة، وإما للعمل على الوصل. أما الاقتصاد في الجهد العضلي، فذلك محور رئيس من محاور الادغام، وهو الذي درسه النحاة، وخصوه بالذكر في كتبهم، قال الزمخشري: «فعمدوا بالإدغام إلى ضرب من الخفة»(١) لكن ينبغي لنا الا نعمم قول الزمخشري على كل إدغام، فإن من ضروبة ما يزداد به الجهد العضلي، كما سنري بعد قليل.

وأما إحداث النسق الصوتي، فذلك واضح من قراءة بعضهم: «تسّوّى بهم

---

١ ـ شرح المفصل ج ١٠، ص ١٢١.

الأرض»(١). فأصل الفعل قبل الإدغام: «تَـتَـسـوى»، ثم حـذفت فتحـة التـاء الثانية. فأصبحت «تَـتْـسوى»، ثم أدغمت التاء الثانية في السين، فأصبح الفعـل على هيئتـه هـذه. والنسق الصـوتي واضـح من جعـل المقطعين الأول والثـانى متشابهين تماما من حيث إن كلا منهما قـد أصبـح مكـونـا بعـد الإدغـام من: صامت + حركة + صامت.

والمـلاحظ أن تخفيف الجهـد العضلي ليس محصـلا هنـا، لأن (تَسّـوّى) أصعب نطقا من (تَـتَـسوى). وأما تغيير بنية المقطع فـإمـا أن يكـون في كلمـة واحدة، كما في (ردّ) التي أصلهـا (ردد)، فحـذفت الفتحـة التي بين الـدالين، ثم أدغمتا، فبدلا من أن تكون الكلمة مكونـة من ثـلاثـة مقـاطـع هي: رَ / دَ / دَ، أصبحت مقطعين: رَدْ / دَ.

وقد يكون تغيير البنية المقطعيـة بين كلمتين. وذلك واضـح من بعض صـور الادغام التي وردت بها قراءة الحسن، وبيان ذلك فيما هو آت:

١ ـ أدغم الحسن الكاف في الكاف، بغض النظر عن أن المدغمـة ضمير، وذلك كما في: «فلا يحزنك كفره»(٢) فقد قرأها الحسن: «فـلا يحزنك كّـفـره»، وليس المقصود من هذا الإدغـام إحـداث تخفيف في الجهـد العضلي، ولا إحـداث نسق صوتي، ولا الوصل، ولكن المقصود هو تغيير البنية المقطعية هكذا:

يَـحْـ / زُنْ / كَ / كُفْـ / رُه

يَـحْـ / زُنْكْ / كفـ / رُه

فلما وقع المقطع الثالث / كَ / وهو مقطع قصير مفتوح، بين مقاطع مغلقـة، فقد دمج في المقطعين الذي قبله والذي بعده.

ولا شك في أن قـراءة الحسن قـد خـالفت القـراءات العشر في بعض وجـوه الادغام، غير أن هذه المسألة مما اتفق به الإدغام هنا مـع الإدغـام في قـراءة أبي عمرو بن العلاء.

---

١ ـ النساء: ٤٢.

٢ ـ لقمان: ٢٣.

٢ ـ أدغم الحسن تاء المتكلم او الخطاب في مثلها، وذلك كما في: «ياليتني كنت تّرابا»(١)، و«أنت تّحكم بين عبادك»(٢). وقد خالف الحسن بهذا الحرف القراءات العشر، إذ من القواعد المقرره في تلك القراءات ألا يكون الحرف الذي يراد إدغامه تاء ضمير، سواء كان للمتكلم، أو المخاطب(٣). ومما ينجم عن هذا الإدغام تغيير في البنية المقطعية للكلام.

٣ ـ أدغم الحسن النون في «أتحاجوننا»(٤) و«فإنك بأعيننا»(٥).

أما إدغام نونى «أتحاجوننا» فهو مطرد من الناحية الصوتية، مع المبدأ الذي على أساسه أدغمت إحدى النونين بأختها في «أتحاجونّي في الله»(٦)، مع أن الخلاف بينهما واضح من حيث المنطق النحوي. وبيان ذلك أن كل واحدة من النونين في: أتحاجوننني، ليست ضميرا ولا جزءا من ضمير، فالأولى هي نون رفع الفعل المضارع الذي هو من الأفعال الخمسة، والنون الثانية هي نون الوقاية. ولكن الأمر ليس كذلك في «أتحاجوننا»، فالأولى نون رفع المضارع الذي هو من الأفعال الخمسة، والنون الثانية جزء من ضمير المتكلمين (نا). ومع هذا الخلاف بين نونى اتاجوننا، ونونى أتحاجوننني، فقد أدغم الحسن النون في أختها في هاتين الكلمتين. وقد استعملت العربية ذلك كله.

ولكن الحسن كان يفك الادغام في بعض الكلمات، فقد قرأ: «لكنا هو الله ربي»(٧)، قرأها: «لكن أنا هو الله ربي»(٨)، أي أنه قرأها بالأصل الذي كانت عليه قبل الإدغام، قال العكبري: «الأصل: لكن أنا، فألقيت حركة الهمزة على النون، وقيل حذفت حذفاً، وأدغمت النون في النون.»(٩)

وقرأ الحسن أيضا: «لا تضارر والدة بولدها»(١٠) بدلا من: «لا تضار»، وهده لغة أهل الحجاز. قال ابن عصفور: «فإن وصلت إليه الحركة فإن أهل

---

١ ـ النبأ: ٤٠.
٢ ـ الزمر: ٤٦.
٣ ـ المهذب في القراءات العشر: ج١، ص٩٧ ـ ٩٨.
٤ ـ البقرة: ١٣٩.
٥ ـ الطور: ٤٨.
٦ ـ الانعام: ٨٠.
٧ ـ الكهف: ٣٨.
٨ ـ القراءات الشاذة، ص ٦٣.
٩ ـ إملاء ما منّ به الرحمن: ٢/١٠٣.
١٠ ـ البقرة : ٢٣٣.

الحجاز لا يدغمون، لأن الإدغام يؤدي إلى التقاء الساكنين، لأنك لا تدغم الأول في الثانى حتى تسكنه، لئلا تكون الحركة فأصلة بين المثلين، والثاني ساكن فيجتمع ساكنان. فلما كان الإدغام يؤدي إلى ذلك رفضوه، وذلك نحو: إن تردد أردد، ولا تضارر، واشدد.»(١) وهذا كله دليل على أن اختيارات الحسن في مسائل الإدغام كانت موافقة لفصيح اللسان العربي.

المطلب الثالث: الحذف والزيادة والمغايرة الصوتية:

تكثر هذه الظواهر الثلاث في قراءة الحسن بصورة ملحوظة. فإذا أخذنا ظاهرة الحذف مثلا، تبين لنا أنه يتم بصورة وظيفية، ذلك أنه عند حذف صوت من الأصوات يصبح للكلمة مبنى صرفي آخر، ذو دلالة مختلفة عن دلالة المبنى الأول، أو أنه يصبح لها مبنى آخر، مع بقاء الدلالة، عملاً بالتوسع اللهجي الذي بنيت عليه عربية كتاب الله عز وجل. وسندرس هنا صورا من هذه الظواهر ضمن الموضوعات الآتية: التنوين، والحركات، والهمزة، وتاء الافتعال، والحروف المقطعة في بدايات السور

١ ـ التنوين: قرأ الحسن: «ضنكا» من غير تنوين، وكان يميل الألف فيها(٢)، وحذف التنوين من «حسنا» في قوله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾(٣)، لتصبح الكلمة مؤنثة: «حسنى». وهذا يوضح ما قلناه قبل قليل من أن حذف صوت ما في قراءة الحسن، يؤدي أحيانا إلى تغيير البنية والدلالة معا. وهذا مسلك لغوي سليم، قال أبوالطيب الوشاء: «وأما المقصور، فلا يدخله رفع ولا نصب ولا خفض، ويستوي فيه لفظ ذوات الواو والياء، وينون ما كان منصرفا، نحو قولك: هوى، ورضى. وما لم يكن منصرفا فياؤه ساكنة، وذلك يكون فيما كانت الياء فيه مزيدة، كفَعْلَىَ، وفِعْلَىَ، وفَعَلى، وفَعَالى، وفُعَالى، نحو: غَضْبَى، وذِفْرَى،

---

١ ـ الممتع في التصريف، ج ٢، ص ٦٥٦.

٢ ـ القراءات الشاذة، ص ٢٢.

٣ ـ البقرة: ٨٣.

وكُبْرَى، وسَكارى، وحُبارى، وفيما كان على مثال أفعل، نحو: أعشي، واعمي، فياء، هذا الضرب من المقصور غير منونة، وياء المنصرف منونة.»(١)

ومع ذلك، فقد قرأ الحسن بتونين «راعنا»، في الآيةالكريمة: «لا تقولوا راعنا»(٢)، قال العكبري: «أي لا تقولوا قولا راعنا»(٣).

٢ ـ الحركات: قرأ الحسن بحذف حركة عين جمع الإناث(٤)، وذلك مثل:

«ظلمات»، و«خطوات» بفتح الخاء وتسكين الطاء. وقرأ بتسكين عين بعض الكلمات المفردة وبعض جموع التكسير مثل: (دبره)، فقد قرأها بتسكين الباء، وقرأ بحذف حركة اللام في «زلفا»، وقرأ بتسكين الظاء في «فنظرة»،(٥) وسواء أكانت العين مضمومة ام مكسورة، فان تسكينها مما جرى به اللسان العربي، قال السيوطي: «وإنما التخفيف في المضموم والمكسور، يقال في: «(رجل): (رجل)، وفي: (ملك): (ملك)، وفي: (كرم الرجل): (كرم الرجل).(٦) وروي عن عيسى بن عمر أنه قال: «كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، وأوسطه ساكن، فمن العرب من يثقله (أي: يحركه)، ومنهم من يخففه.»(٧)

ولكن الحسن كان يقرأ بتحريك عين «بغتة» حيث وقعت(٨)، وبتحريك العين بالفتح في «البعث»(٩)، وبتحريك الدال بالضم في «البدن»(١٠) وقرأ بضم الشين في: «الرشد»(١١)، وقد حاول بعض النحاة واللغويين أن يشتقوا قاعدة مما استقرؤوه في هذه المسألة، وكان استقراؤهم ناقصا، فقد ظن بعضهم أن الكلمة المكونة من ثلاثة أحرف، الأوسط منها حرف حلقي، فإنه يجوز تحريك الحرف الأوسط بالفتح، كما يجوز تسكينه(١٢). والاستقراء هذا ناقص، لأن الأمثلة التي

---

١ ـ الممدود والمقصور. ص ٣٠.
٢ ـ البقرة: ١٠٤.
٣ ـ إملاء ما منّ به الرحمن ص ٥٦.
٤ ـ القراءات الشاذة، ص ٣٤,٢٧.
٥ ـ المرجع السابق، ص : ٥٠,٣٧.
٦ ـ المزهر، ج ٢، ص ٨٦.
٧ ـ المرجع السابق، ج ٢، ص ١٠٨ ـ ١٠٩.
٨ ـ القراءات الشاذة، ص ٢٥.
٩ ـ المرجع السابق، ص ٦٩.
١٠ ـ المرجع السابق، ص ٧٠.
١١ ـ المرجع السابق، ص ٣٦.
١٢ ـ شرح شافية ابن الحاجب ١/٤٧.

أوردناها، تدل على أن إسكان عين الكلمة الثلاثية يتجاوز كون عين الكلمة من حروف الحلق، بل يتجاوز كون الكلمة مفردة، ليشمل بعض جموع التكسير. هذا اذا غضضنا الطرف عن حقيقة نظرتهم إلى الأصوات الحلقية، فهم يعدونها ستة هي: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء(١). أما الهمزة والهاء فهما في الدراسات الصوتية المعاصرة صوتان حنجريان، واما الغين والخاء فصوتان طبقيان، عندما يكونان مرققين، لهويان عندما يكونان مفخمين، وقلّ أن نجد من الصوتيين المعاصرين من يجعل للغين والخاء موضعي نطق مختلفين، بحسب الترقيق والتفخيم. وقد أشارت إحدى الدراسات الصوتية الصادرة عن معهد ستراسبورغ للصوتيات إلى هذا الفرق(٢). ولا يبقى من أصوات الحلق من هذه الستة إلا العين والحاء. وقد جمع القدماء هذه الأصوات الستة تحت عنوان «حروف الحلق» لاشتراكها أحيانا في بعض الأحكام في العربية. وقد أحس بعضهم بالفروق بينها، فتحدث عن حروف أدنى الحلق وأوسط الحلق وأقصى الحلق.

ومما جرى عليه تغيير الحركة في قراءة الحسن أنه قرأ: «وآذِنْ في الناس بالحج»(٣)، بمد الألف، وتخفيف الذال المكسورة على الأمر بوزن: فاعِل(٤) ويكون التركيب القرآني بذلك كما ياتي: «وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود، وآذِنْ في الناس بالحج يأتوك رجالا». ولكن ابن جني ذهب إلى أن الحسن وابن محيصن قرءا: «وآذَنَ» باعتبار الفعل ماضيا. قال ابن جني: «آذَن معطوف على: بوأنا، فكأنه قال، وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت وآذَن. فأما قوله على هذا: يأتوك رجالا، فإنه انجزم لأنه جواب قوله: وطهر بيتي للطائفين، وهو

---

١ ـ النشر في القراءات العشر، ج١، ص ١٩٩.

٢ ـ انظر: Boff, Marie; and Ch. Dkhissi. Contribution al'etude experimental des consonnes d'arriere de l'Arabe classique. [Strasbourg, institut de phonetique].

٣ ـ شرح شافية ابن الحاجب: ١/٤٧.

٤ ـ الحج: ٢٧.

على قراءة الجماعة جواب قوله: وأذن في الناس بالحج.»(١) وقد نص ابن خالويه نصا صريحا على أن الحسن قرأها بالفعل الماضي، فقال: «وأذَنَ فعل ماض: الحسن وابن محيصن.»(٢)

وهذا الذي ذهب اليه ابن جني وابن خالويه مرجوح في نظري، إذ إنني أميل إلى الاعتقاد بأن الحسن قرأ بفعل الأمر: «وآذِنْ» لا الماضي: «وأذَنَ» ذلك أن قراءتها بفعل الأمر لا تحدث إشكالا في نسق التركيب القرآني. أما عندما يكون الفعل: «وآذَنَ» بالماضي، فإن التركيب سيكون هكذا: وطهرْ بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ـ وآذن في الناس بالحج ـ يأتوك رجالا، وبذلك تصبح جملة: «وآذَنَ في الناس بالحج» جملة معترضة، ولا وجه للاعتراض هنا، إذ الجملة المعترضة تكون ذات صلة على نحو أو آخر، بالذي قبلها مباشرة، أو الذي بعدها مباشرة. وهذه لا صلة بينها وبين جملة «وطهر بيتي» ولا بينها وبين جملة «يأتوك رجالا». وإذا قيل إن الصلة ـ على القول بقراءة الفعل ماضيا ـ قائمة بين جملة «وأذَنَ في الناس» وجملة سابقة، وهي: «وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت» قلنا: ما ابعد الرامي من الرمية: إذ إن الاعتراض يكون عقب ما يعترض به عليه، لا بعد ان تنقضي فائدته. هذا، والذي أخذنا به من القول إن الحسن قرأ: «وآذن» على أنه فعل أمر، متسق مع قراءة الجماعة في تقدير جزم: «يأتوك».

قد تحل حركة إعرابية محل حركة إعرابية أخرى في قراءة الحسن، وبيان ذلك أن الحسن قرأ: «والمقيمي الصلاة»(٣) بنصب الصلاة، وقرأ الجمهور بجرها. والظاهرة لها بعدان أحدهما صوتي، والآخر نحوي. أما البعد الصوتي فيتمثل في المخالفة بين «المقيمي» التي تنتهي بحركة، هي ياء المد، و«الصلاة» التي هي في الأصل مجرورة لأنها مضاف اليه، فلما نصبت حدثت المخالفة الصوتية. وأما البعد النحوي فالغريب أن بعض العلماء قد لحنوا هذه القراءة،

---

١ ـ المحتسب، ج ١، ص ٧٨.
٢ ـ مختصر في شواذ القرآن، ص ٩٥.
٣ ـ الحج: ٣٥.

لأنها تخالف المحفوظ من بعض قواعدهم. وقد ناقض ابن جني نفسه، وهو يعالج قراءة النصب هذه إذ إنه بعد أن حكم بأن هذا: يكاد يكون لحنا، لأنه ليست معه لام التعريف المشابهة للذي ونحوه «أخذ يسوغ ذلك قائلا: «غير أنه شبه (معجزي) بـ (المعجزي)، وسوغ له ذلك علمه بأن (معجزي) هذه لا تتعرف بإضافتها إلى اسم الله تعالى، كما لا يتعرف بها ما فيه الألف واللام، وهو: المقيمي الصلاة، فكما جاز النصب في: (المقيمي الصلاة)، كذلك شبه به (غير معجزي الله)(١) ثم أورد ابن جني قراءة بعض الاعراب للآية: ﴿إنكم لذائقو العذاب الأليم﴾(٢) بالنصب، وأضاف: وأخبرنا أبوعلي عن أبي بكر عن أبي العباس، قال: سمعت عمارة يقرأ: ولا الليل سابق النهار(٣)، فقلت له: ما أردت؟ فقال: أردت سابقٌ النهارَ، فقلت له: فهلا قلته؟ فقال: لو قلته لكان أوزن، يريد: أقوى وأقيس(٤). وقد حاول ابن جني ـ في الخصائص ـ أن يزيد في توضيح مراد عمارة بقوله: «لكان أوزن» فقال: «فقوله: أوزن، أي: أقوى وأمكن في النفس، أفلا تراه كيف جنح إلى لغة، وغيرها أقوى في نفسه منها؟»(٥). وأحسب أن ابن جني قد أخطأ مرة أخرى، إذ ظن أن المراد بقول عمارة: «لكان أوزن» هو قوة القراءة التي رغب عنها ومكنتها في نفسه، ورغبته عن هذا التمكن إلى ما لا تميل إليه نفسه. هذا التفسير فيه إحالة واضحة، واعتساف بين. وأحسب أن الصحيح هو أن عمارة لو قرأ: «سابقٌ النهارَ» بالتنوين، لكانت القراءة به موضع ثقل ناجم عن النبر الذي تزيد درجته على درجة النبر في المقاطع المجاورة، فأسقط التنوين لتخف درجة النبر.

---

١ ـ المحتسب، ج ٢، ص ٨٠.
٢ ـ الصافات: ٣٨.
٣ ـ يس: ٤٠.
٤ ـ المحتسب، ج ٢، ص ٨١.
٥ ـ الخصائص ج ١، ص ١٢٥.

٣ ـ الهمزة: كان الحسن يحذف الهمزة أحيانا، ويبدلها أحيانا أخرى، ولكنه في مواطن أخرى كان يقرأ بزيادتها. وفيما ياتي بيان ذلك:

أما حذفها فمثل: «عليهم الَجلا»(١)، قرأها بحذف همزة «الجلاء»(٢) والمعادلة(٣) تمثل هذه الحالة:

المعالة(٣):

تسقط الهمزة (الصامت الحنجري الوقفي) إذا كانت مسبوقة بصوت مد أمامي (الف المد او ياؤه)، مع كونها في الموقع الأخير من الكلمة. «ولا شك في أن هذا المسلك مسلك عربي قويم، فالهمزة المتطرفة في مثل: سماء، وضياء، وصحراء، مما يجوز حذفه في فصيح اللسان العربي، بل هو فيه شائع.

ولكن الحسن، مع ذلك، كان يزيد الهمزة، في الموقع الأخير من الكلمة، إذا كان فيه قبلها حرف مد كالالف، ولذلك فقد قرأ: «الرباء» بدلا من «الربا»، وهي لغة. ومسوغها الصوتي أن العرب كانوا يميلون إلى إغلاق المقطع المفتوح الذي يكون في الموقع الأخير بصور شتى من صور الإغلاق التي يألفها اللسان العربي منها: التنوين في المواطن التي يجوز وروده فيها، ومنها الإغلاق بهاء السكت، ومنها بعض صور الإدغام التي سلف الحديث عنها.

وسواء أكان اختيار الحسن في ترك الهمز أحيانا، أم في الأخذ به أحيانا أخرى، فالمنحيان عربيان سليمان. فالعرب كانت تهمز أحياناً كثيرة، بل كانوا

---

١ ـ الحشر: ٣.

٢ ـ القراءات الشاذة : ٨٧.

يهمزون ما ليس بمهموز أصلا، فقد قالوا: لبأت بالحج، وحلأت السويق، ورثأت الميت. واجتمعت العرب على همز «مصائب»، وأصلها الياء. وقالوا: افتأت برأيه(١)، ويحكى أن أبا زيد قال: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ: «فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأن»(٢)، فظننته أنه قد لحن، حتى سمعت من العرب: دأبه، وشأبة.»(٣) ومن هذا القبيل أيضا قراءة أبي أيوب السختياني: «ولا الضألين»(٤) بهمزة مفتوحة. وعلى هذه اللغة قول كثير: إذا العوالي بالعبيط احمأرت.

ولكن قراءة الحسن تعامل الهمزة معاملة أخرى، فقد جاء أنه قرأ: «آذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا»(٥)، وقرأ: «آن كان ذا مال وبنين»(٦)، وقرأ «آن جاءه الأعمى»(٧)، وفي هذا كله تحويل للإخبار إلى استفهام. قال ابن جني في معرض تعليقه على قراءة الحسن: «آن جاءه الأعمى» إن معلقة بفعل محذوف دل عليه قوله تعالى: «عبس وتولى»، تقديره: أأن جاءه الأعمى أعرض عنه وتولى بوجهه؟»(٨).

ومن صور قلب الهمزة الى حركة في قراءة الحسن، أنه قرأ: «أنبيهم» بدلا من: «أنبئهم» في سورة البقرة، و«نبيهم» في الحجر والقمر، مع كسر الهاء في كل ذلك»(٩) وحقيقة هذا التغير من الناحية الصوتية، أن الهمزة تقلب إلى كسرة، لتماثل الكسرة التي قبلها، وذلك كما هو مبين في المعادلة «٤» :

---

١ ـ المزدهر جـ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.
٢ ـ الرحمن: ٣٩.أ
٣ ـ الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ١٥١، وابن جني. سر صناعة الإعراب ١/ ٧٢.
٤ ـ إملاء ما من به الرحمن، ج ١، ص ٨.
٥ ـ الاحقاف: ٢٠.
٦ ـ القلم: ١٤.
٧ ـ عبس: ٢.
٨ ـ المحتسب، ج ٢، ص ٣٥٢.
٩ ـ القراءات الشاذة، ص ٢٢.

المعادلة(٤):

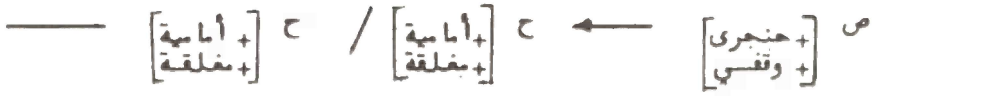

هذا، وقد أخطأ ابن خالويه حين ظن أن الحسن كان يقرأ: «أنبهم» بكسر الباء من غير وجود ياء المد(١).

٤ ـ تاء الافتعال: قرأ الحسن بحذف تاء المطاوعةمن: «ولا تمسكوا»، والأصل: «تتمسكوا»، وقرأ بحذف تاء المطاوعة هذه من «وان تولوا»(٢). والمحذوف هنا هو تاء الافتعال، أو المطاوعة كما يسمونها أحيانا، وليست تاء المضارعة هي المحذوفة، لأن تاء المضارعة لا تحذف، لأن حذفها يخل ببنية الفعل المضارع. اما حذف تاء المطاوعة فلا يؤدي إلى ذلك، ولا إلى شيء منه.

٥ ـ الحروف المقطعة في أوائل السور: تفردت قراءة الحسن بتحريك الحرف الأخير من أسماء بعض الحروف المتقطعة التي تبتدىء بها سور من كتاب الله عزت أسماؤه، وجلت صفاته، فكان الحسن يقرأ: ياسينِ، وصادِ، وقافِ(٣). ومع ذلك، فقد قرأ: «طه» بتسكين الهاء. قالوا في توجيه هذه القراءة: «أراد: طأ الأرض بقدميك جميعا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع إحدى رجليه في صلاته.(٤). فإذا صح هذا التوجيه، ولا أحسبه إلا كذلك، فإن ذلك يعني أن الهمزة قد أبدلت هاء. وهذا في اللسان العربي كثير، وهو فيه بعد فصيح، فقد كان العرب يقولون:«هراق» بدلا من: أراق. والمسوغ الصوتى لهذا التغيير

---

١ ـ مختصر في شواذ القرآن، ص ٣ ـ ٤.

٢ ـ محمد: ٣٨.

٣ ـ القراءات الشاذة، ص ٧٩، ٧٨، ٨٩.

٤ ـ الممتع في التصريف، ج ١، ص ٣٩٨.

الصوتى، واضح جدا، فالهمزة والهاء صوتان حنجريان. أما الهمزة فهي صوت وقفي، وأما الهاء فصوت رخو (استمراري) احتكاكي. وأن يتعاور هذان الصوتان موقعا واحدا، بتغيير الدلالة أو عدم تغييرها، امر متوقع من الناحية الصوتية المحضة. وإذا أخذنا قراءة الحسن: «طه» بدلا من: «طأ» والذي هو الأصل، كان بالإمكان تمثيل ذلك بالمعادلة(٥)، وهي هذه:

المعادلة(٥):

المراجع العربية

١ ـ الاستراباذي، محمد بين الحسن. شرح شافية ابن الحاجب. تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبدالحميد (بيروت دار الكتب العلمية، ١٩٧٥).

٢ ـ بشر، كمال. علم اللغة العام ـ الاصوات (القاهرة دار المعارف، ١٩٨٠).

٣ ـ ابن الجزري، محمد. غاية النهاية في طبقات القراء. تحقيق ج. برجشتراسر، (بيروت دار الكتب العلمية،١٩٨٠).

٤ ـ النشر في القراءات العشر(بيروت دار الكتب العلمية، د.ت).

٥ ـ ابن جني، عثمان. الخصائص. تحقيق محمد على النجار (بيروت دار الهدي، د.ت).

٦ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها. تحقيق على النجدي ناصف، والدكتور عبدالفتاح شلبي (القاهرة المجلس الاعلي للشؤون الاسلامية، ١٩٦٩).

٧ ـ الحلبي، عبدالواحد بن علي. كتاب الاتباع. تحقيق عزالدين التنوخي، (دمشق مجمع اللغة العربية،١٩٦١).

٨ ـ حنفي، جلال. قواعد التجويد والالقاء الصوتى (بغداد لجنة إحياء التراث، ١٩٨٧).

٩ ـ أبو حيان، محمد بن يوسف. البحر المحيط (القاهرة دار الفكر،١٩٧٨).

١٠ ـ ابن خالوية، الحسن. مختصر في شواذ القرآن. تحقيق ج. برجشتراسر.

١١ ـ ابن خلكان، احمد. وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان. تحقيق د. إحسان عباس (بيروت دار صادر،١٩٦٩).

١٢ ـ الذهبي، محمد. تذكرة الحفاظ. (بيروت دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٨).

١٣ ـ سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب. تحقيق: عبدالسلام هارون. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥).

١٤ ـ السيوطي، عبدالرحمن. المزهر. تحقيق: محمد احمد المولي، وعلي البجاوي ومحمد ابوالفضل إبراهيم (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ت).

١٥ ـ ابن عصفور الاشبيلي. الممتع في التصريف. تحقيق: د. فخرالدين قباوة. (حلب: المكتبة العربية، ١٩٧٠).

١٦ ـ العكبري، عبدالله. إملاء ما من به الرحمن. تحقيق: إبراهيم عطوه عوض. (القاهرة: مكتبة الكليات الازهرية،١٩٦٩).

١٧ ـ القاضي، عبدالفتاح. القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب. (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨١).

١٨ ـ القرطبي، محمد. الجامع لاحكام القرآن (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧).

١٩ ـ المحيسن، محمد سالم. المهذب في القراءات العشر (القاهرة: مكتبة الكليات الازهرية، ١٩٧٨).

٢٠ ـ النحاس، احمد. إعراب القرآن. تحقيق: د. زهير زاهد (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٥).

٢١ ـ الوشاء، محمد بن احمد. الممدود والمقصور. تحقيق: د. رمضان عبدالتواب (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٩).

المراجع الاجنبية:

1. Boff, Marie; and Ch. Dkhissi. Contribution al'etude experimental des consonnes d'arriere de l'Arabe classique. [Strasbourg, institut de phonetique].

2. Jadobson, Roman; C. Fant; and M. Halle. Preliminaries to Speech Analysis. [The M.I.T. Press, 1965].